نظرية الذكاءات المتعددة بعد مرور عشرين سنة

هوارد جاردنر 2003

ورقة قدمها هوارد جاردنر للجمعية الأمريكية للبحث التربوي، شيكاجو إلينوس، في 12 أبريل 2003

ترجمة محمد السعيد عبد الجواد أبو حلاوة

قسم علم النفس، كلية التربية بدمنهور، جامعة الإسكندرية

أولاً نص الترجمة:-

عادة ما يوجه إلىّ سؤالاً مفاده متي آتتك فكرة الذكاءات المتعددة؟. والإجابة الأقرب للصدق هي (لا أعرف). وهذه الإجابة غير مرضية للسائل وغير مرضية لي في نفس الوقت. وإذا ما حاولت الاستفادة مما يعرف بظاهرة الإدراك المتأخر سأشير إلي بعض المتغيرات التي ربما قربتني من التفكير فيما اصطلح علي تسميته نظرية الذكاءات المتعددة:-

(1) عندما كنت صغيراً كنت عازف بيانو جاد وكنت متحمساً وشغوفاً بغير ذلك من الفنون في نفس الوقت. وعندما بدأت دراسة علم نفس النمو وعلم النفس المعرفي صدمت في واقع الأمر بذلك التجاهل للموضوعات الفنية وغياب الإشارة إلي الفنون. فسيطر علي هدفاً ظل يمارس تأثيراً علي طيلة حياتي التعليمية مفاده أن أجد مكاناً للفنون في إطار أو سياق علم النفس الأكاديمي. ومازلت أحاول في واقع الأمر!!! وفي سنة 1967 ومع استمرار اهتمامي بالفنون أصبحت من الأعضاء المؤسسين لما يعرف بمشروع الصفر Project of Zero إذ بدأ مؤسسو هذا المشروع وهم مجموعة بحث أو فريق بحث من كلية التربية بجامعة هارفارد أمهم فيلسوف الفن ذائع الصيت نيلسون جودمان. وكنت لمدة 28 سنة المشرف المساعد لهذا المشروع وأنا سعيد أن أقول أن هذه المنظمة مازالت منتعشة وتمارس عملها إلي الآن.

(2) مع اقتراب مسيرة رحلة دراستي لمرحلة الدكتوراه من نهايتها كنت مهتماً في واقع الأمر بالبحوث النيورولوجية ــ العصبية ــ لنورمان جيشواند وكنت حقيقة مفتوناً بمناقشة جيشواند الرائعة لما يحدث للأفراد سواء كانوا عاديين أو موهوبين عندما يقودهم حظهم العثر إلي المعاناة من صدمة دماغية نتيجة الضرب أو الجلطة أو غير ذلك من أشكال تلف الدماغ أو إصابات الدماغ. وغالباً ما تتبدى أعراضاً مرضية تطال القدرة علي الحدس أو الفهم علي سبيل المثال قد يصاب من يتعرض لمثل هذه الصدمات بما يعرف بالعمى القرائي أو بالعجز عن القراءة خاصة فقد القدرة علي قراءة الكلمات علي الرغم من استمرار قدرته علي قراءة الأرقام وأسماء الأشياء والكتابة بصورة عادية. وبدون تخطيط مسبق لرحلتي القادمة التي سأصفها بالتفصيل أنهيت عملي الذي استمر قرابة عشرين عاماً في وحدة الدراسات العصبية النفسية محاولاً نظم خطة اهتمام بحثي لتفهم بناء وتنظيم القدرات الإنسانية في المخ.

(3) كنت مستمتعاً في هذه الفترة بالكتابة في المجال المشار إليه وبدأت العمل في رحلة دراستي لما بعد الدكتوراه مع جيشواند وأثمرت جهودي في هذه الفترة عن ثلاثة كتب. أما كتابي الرابع بعنوان (العقل المبعثر The (Shattered Mind فنشر سنة 1975 وصفت فيه قدر المستطاع ما يحدث للأفراد

الذين يعانون من مختلف صيغ تلف أو إصابات الدماغ. ووثقت فيه بالأدلة كيف تسيطر مختلف أجزاء الدماغ علي الوظائف المعرفية المختلفة. وبعد انتهائي من كتاب العقل المبعثر ظننت أنني ربما كتبت كتاباً يصف بصورة دقيقة سيكولوجية مختلف القدرات الإنسانية وما كان هذا الظن إلا نسخة معاصرة لعلم الفراسة!!!. وفي سنة 1976 كتبت مخططاً عاماً لكتاب تحت عنوان مبدئي (أنواع العقول Kinds of Minds). ويستطيع المرء أن يقول أن هذا الكتاب لن يكتب أبداً إذ في الواقع طوي في غياهب النسيان لسنوات عديدة. وأستطيع أن أقول أيضاً أنه بعثت فيه الحياة مرة ثانية ليصبح منجزاً بالصورة المنشور بها في الوقت الحاضر تحت عنوان (أطر العقل Frames of Minds) وفي سنة 1979 تلقي مجموعة من الباحثين المنتسبين إلي كلية التربية بجامعة هارفارد منحة مالية كبيرة من مؤسسة ألمانية (مؤسسة بيرنارد فان ليير The Bernard Van Leer Foundation) وخصصت هذه المنحة لإنجاز هدف طموح اقترحته هذه المؤسسة إذ توقع من أعضاء مشروع الإمكانيات الإنسانية الكامنة (كما سميت فيما بعد) إنجاز مشروعاً بحثياً لدراسة طبيعة الإمكانيات الإنسانية وكيف يمكن تحفيزها أو تنشيطها بإخراجها من الوجود بالقوة إن صح القول إلي الوجود بالفعل. وعندما وضعنا تصوراتنا الشخصية لهذا المشروع تلقيت تكليفاً مشكوراً لتأليف كتاب ينظم ما كشفت عنه نتائج الدراسات والبحوث السابقة في مجال المعرفة الإنسانية أو القدرات المعرفية لدي الإنسان وتضمينه الاكتشافات العلمية التي تم التوصل إليها في العلوم البيولوجية السلوكية. ومن هنا ولدت فكرة البرنامج البحثي الذي أدي إلي نظرية الذكاءات المتعددة. وسمح لي الدعم الذي تلقيته من مؤسسة فان ليير بتنفيذ برنامجاً بحثياً مكثفاً بمساعدة كثيراً من الزملاء. واعتبرت أن ذلك فرصة عمري لتجميع وتنسيق كل ما تعلمته وتعلمه الآخرون عن نمو القدرات المعرفية لدي الأطفال العاديين والأطفال الموهوبين الذين يعانون من بعض صيغ الاضطرابات أو الأمراض. ولكي أعبر عن ما تم تجميعه وتنسيقه من معلومات بمصطلحات من أجندة تعاملاتي اليومية حاولت جاهداً إحداث نوع من التوليفة المقبولة بين مجال إصابات أو تلف الدماغ ومجال النمو المعرفي. واقتضى هذا المنحي أن أفتش أو أنقب أنا وزملائي في التراث العلمي لمجال أبحاث المخ؛ التركيب الجيني وعلم الوراثة؛ علم الأنثروبولوجي؛ وعلم النفس لمحاولة التوصل إلي تصنيف مقبول للقدرات الإنسانية. وأستطيع تذكر عدداً من نقاط التحول الأساسية في رحلة هذا التنقيب صحيح لا أتذكر متي حدثت ولكن عند وقتاً معيناً قررت أن أطلق علي هذه القدرات " الذكاءات المتعددة" بدلاً من القدرات أو المواهب. ويبدو أن ما أقدمت عليه ــ استبدال مصطلح القدرات أو المواهب بمصطلح الذكاءات المتعددة ــ كان بمثابة تحول مفاهيمي شديد الدلالة والأهمية وزاد يقيني في هذه الفترة بأنه حال تأليفي لكتاب في هذا المجال سأطلق عليه عنوان (المواهب السبع Seven Talents) وكنت واثقاً أنه في حالة نشر مثل هذا الكتاب فإنه لن يحظى

بالانتباه الذي لقيه كتاب (أطر العقل). وكما أشار زميلي ديفيد فيلدمان أن اختيار مثل هذه الكلمة (مواهب سبع) سيضعني في مواجهة صعبة مع التقليد السيكولوجي الراسخ الذي يحتفي باختبارات الذكاء ومع ذلك لم أتفق مع زعم فيلدمان بأني مدفوع برغبة لقتل أو ذبح ما يصطلح علي تسميته (بمعامل الذكاء) وعليه كانت نقطة التحدي الأساسية أن أصيغ تعريفاً للذكاء وأن أضع مجموعة من المحكات التي تساعد علي تحديد المقصود به بالضبط وتساعد في نفس الوقت علي استبعاد ما لا يدخل في إطار تعريف الذكاء. ولا يمكن أن أدعي أن هذه المحكات كانت معلومة لي كلية في هذه الفترة وهذا ما دفعني إلي أن أحاول جاهداً أن أعدل أو أنقح ما تعلمته عن القدرات الإنسانية لأتمكن فيما بعد من توصيف ما سمي فيما بعد بالمحكات الثمانية لتعريف الذكاء. وأشعر أن التعريف الذي قدمته للذكاء والمحكات التي طرحتها لنظم مثل هذا التعريف أهم أجزاء العمل الذي أنجز أصالة لكنه لم يتلقى المناقشة العلمية الجادة في التراث العلمي. وعندما بدأت كتابي كنت أكتب بذهنية السيكولوجي ومازالت هذه هي صفتي المهنية إلي الآن. ومع ذلك فإن تلقي منحة مؤسسة فان ليير جعل من الواضح بالنسبة لي احتياجي الشديد لقول شيئاً ما عن التطبيقات أو الدلالات التربوية لنظرية الذكاءات المتعددة. لذلك أجريت بعض البحوث في مجال التعليم واقتربت من بعض الدلالات أو التطبيقات التربوية للنظرية في الفصول الختامية من الكتاب. وهذا القرار مثل بالنسبة لي نقطة تحول أخرى لأن التربويين عكس السيكولوجيين يهتمون كثيراً بالدلالات أو المضامين والتطبيقات التربوية للنظريات أو للأطروحات النظرية. وانتهيت في سنة 1981 من كتابة مسودة الكتاب ثم بدأت في مراجعته وتنقيحه. وهنا أصبحت الخطوط الأساسية لحجتي ومناقشاتي واضحة تماماً. وكنت أزعم أن كل البشر يمتلكون ليس فقط ذكاءً مفرداً أو وحيداً (غالباً ما يطلق عليه الذكاء العام) بل نحن ككائنات بشرية من الأفضل أن يتم وصفنا بأننا نمتلك مجموعة مستقلة نسبياً من الذكاءات. والحقيقة أن كثيراً من الكتابات المتخصصة وغير المتخصصة في المجال ركزت علي ضم الذكاء اللغوي والذكاء المنطقي في إطار القوة العقلية والتي غالباً ما يملكها رجل القانون مثلاً. ومع ذلك فإن الفهم الكامل للكائنات البشرية يقتضي أن نأخذ في اعتبارنا الذكاء المكاني؛ الذكاء الرياضي أو الحركي؛ الذكاء الموسيقي؛ الذكاء الشخصي؛ والذكاء الاجتماعي أو ذكاء العلاقة مع الآخرين. وبينما نمتلك جميعاً كل هذه الذكاءات إلا أن الأفراد يختلفون لأسباب تكوينية وراثية ولأسباب بيئية مرتبطة بالخبرات فيما يتعلق بما يصح تسميته مواطن القوة وبواطن الضعف في بروفيلاتهم العقلية. ولا يوجد نمط ذكاء من الأنماط المشار إليها سواء أكان فنياً أو غير فنياً يستحق بذاته الاهتمام بل إن التعامل مع المنظومة العقلية للفرد يقتضي التعامل مع كل مكوناتها (الذكاءات المتعددة) ولنا أن نقول أنه لا تطبيقات تربوية تتبع مباشرة النظرية النفسية ولكن إذا سلمنا بوجود تباين في البروفيلات العقلية للأفراد فإن ذلك يستلزم نظاماً تعليمياً يعمل في إطار هذا

التسليم. ومع نشر كتاب أطر العقل سنة 1983 كنت قد نشرت نصف دستة من الكتب لقيت كلها ترحيباً إيجابياً وحققت نسبة مبيعات مرضية. ولم أتوقع أن يحدث كتاب أطر العقل وقعاً مختلفاً عن كتبي الأخرى التي سبق نشرها ولكن بعد شهورٍ قليلة من صدور هذا الكتاب أدركت أنه كتاباً مختلفاً بسبب ما لقيه من مراجعات نقدية كثيرة ناهيك عن ما حققه من نسبة مبيعات لم تتحقق لكثيرٍ من الكتب المتميزة في المجال بصفة عامة إضافة إلي الاهتمام الشعبي الشديد الذي صاحب صدوره. وبناء علي ذلك تلقيت دعوات عديدة للإلقاء محاضرات علمية وأحاديث صحافية في هذا الصدد وتوفر لي معلومات علي موقع لشبكة المعلومات الدولية مخصص لموضوع الذكاءات المتعددة سماع الناس علي الأقل عن هذا المفهوم وهذه النظرية وشغفهم بتعلم المزيد عنها. وكنت أحياناً ما أطلق دعابة مفادها أن نظرية الذكاءات المتعددة أعطتني شهرة أو سمعة إيجابية واسعة خلال خمسون دقيقة فقط. وعلي الرغم من أني أنجزت أعمالاً علمية عديدة خلال رحلة كفاحي العلمي إلا أني أدركت أني أفضل دائماً أن أعرف بأني (والد الذكاءات المتعددة) أو علي الأقل المرشد الروحي لنظرية الذكاءات المتعددة. إذ مازلت أتذكر بوضوح شديد التقديم الطيب الذي قدمني به صديقي بوب ستيرنبرج أثناء ندوة علمية عقدت في منتصف العقد الثامن من القرن العشرين عرضت فيها نظرية الذكاءات المتعددة حيث وصفني بأني مؤسس لنظرية علمية جديدة وجريئة في مجال القدرات العقلية للإنسان.

وبعد عقد تقريباً من نشر كتاب أطر العقل كان لي علي الأقل علاقتين أساسيتين بنظرية الذكاءات المتعددة العلاقة الأولي جاءت نتيجة ما أثاره هذا الكتاب من ضجة وصخب علمي وشعبي وصفت في ضوئه بأن ما ذكرته مثيراً للحيرة والارتباك ويثير أسئلة أكثر مما يطرح إجابات. وكنت مذهولاً في واقع الأمر من قول كثيراً من الأفراد بأنهم يريدون مراجعة وتعديل ممارساتهما التعليمية لتتسق مع نظرية الذكاءات المتعددة. وخلال عام من هذا الوقت كنت قد التقيت بالفعل بكثيرٍ من المعلمين بمدينة إنديانا بولس الذين أسسوا أول مدرسة في العالم تهتم بصورة صريحة بالتطبيقات التعليمية لنظرية الذكاءات المتعددة. ثم بدأت في تلقي سيل من الاتصالات التي تسألني أو تطلب كيفية توظيف واستخدام نظرية الذكاءات المتعددة في مختلف أنواع المدارس ومع مختلف نوعيات المتعلمين. وعلي الرغم من تحمسي الشديد للإجابة علي مثل هذه الاستفسارات كنت أذكر نفسي دائماً أنى عالم نفس بالأصل ولست معلماً تربوياً وفي ضوء ذلك لم أدعي مطلقاً أني أعرف كيف يمكن تعليم فصل لصغار الأشخاص ولا أعرف كيفية إدارة مدرسة ابتدائية أو ثانوية.

أما علاقتي الثانية بنظرية الذكاءات المتعددة كما جاءت في صياغتها الأساسية بكتابي أطر العقل فكانت نتيجة إدارتي لمشاريع بحثية بنيت علي أساسها أو علي الأقل انطلقت من التسليم بصحة افتراضاتها الأساسية. وكان المشروع البحثي الأكثر أهمية واتساعاً في حقيقة الأمر ذلك المشروع

المسمي (مشروع الطيف الواسع) الذي أنجز بالتعاون مع ديفيد فيلدمان ومارا كيرشنفسكي وجانت ستورك وغيرهما. وكان الهدف الرئيس لهذا المشروع البحثي التوصل إلي إعداد وتقنين مجموعة من المقاييس التي يمكن للمرء بمقتضاها التحقق من البروفيل العقلي لصغار الأطفال (أطفال مرحلة ما قبل المدرسة؛ وأطفال الصفوف الأولي من التعليم الابتدائي). وقد انتهينا من ذلك المشروع البحثي بابتكار سبع مهام منفصلة صيغت لقياس الذكاءات المتنوعة بطريقة طبيعية قدر الإمكان. ولقد شعر الفريق البحثي الذي أنجز هذا المشروع بمتعة علمية وشخصية فائقة نتيجة التوصل إلي صياغة وتقنين بطارية قياس واسعة المجال واستخدامها أو تطبيقها علي عينات أو مفحوصين مختلفين. وتعلمنا من هذه التجربة العلمية الشيقة والشاقة دروساً شديدة الأهمية منها أن إعداد وتقنين المقاييس النفسية مهمة غاية في الصعوبة وتتطلب جهداً وعملاً مضنياً إضافة إلي التمويل المالي المناسب. لذا قررت دون أن أعبر عن قراري هذا بكلمات أني لا أريد أن أضع نفسي في مسار تصميم أو إعداد المقاييس النفسية علي الرغم من سعادتي إذا فضل الآخرون التصدي لصياغة وتقنين أدوات قياس لتقييم أو رصد الذكاءات المختلفة.

وإكمالاً لهذا المسار دعني أشير إلي قليل من المشاريع البحثية الأخرى التي يمكن إدراجها تحت عنوان مشاريع موجه الاهتمام الأولي بنظرية الذكاءات المتعددة منها عملي العلمي مع روبرت ستيرنبرج من جامعة ييل وهو من علماء النفس الذين نقدوا بشدة التصورات والرؤى التقليدية للذكاء وقد أثمر هذا العمل عن إعداد منهج لطلاب المرحلة المتوسطة أطلق عليه (الذكاءات العملية للمدرسة Practical Intelligence for School) وعملي مع زملائي بوحدة خدمات الاختبار أو التقييم التعليمي وما نتج عنه من تطوير مجموعة من مناهج التعليم وأدوات القياس التي صيغت لتوثيق التعلم في ثلاث صيغ فنية (صيغ فنون) ومع بدايات العقد التاسع من القرن العشرين بذلت جهوداً مشتركة لاستخدام الحاسب الآلي في التعليم وما أثار دهشتي وسعادتي في نفس الوقت الاهتمام بإنعاش الذكاءات المتعددة لهذه الجهود وإعطائها دفعة ومبرراً علمياً ومعنويا للتوسع في الاستفادة من توظيف الحاسب الآلي في التعليم. ومع مرور الوقت كنت خططت لتبني عديداً من الأنشطة الجديدة. النشاط **الأول** كان أكاديمياً بحتاً وذلك انطلاقاً من فكرة وجود أنواع متعددة من الذكاءات أجريت دراسات حالة علي الأشخاص الذين هم فائقو التميز في بروفيلات الذكاءات. ونتج عن هذا الخط البحثي سلسلة كتبي عن الابتكار أو الإبداع (خلق العقول Creating Minds) والقيادة (قيادة العقول Leading Minds) والتحصيل الدراسي الفائق (عقول فوق العادة Extraordinary Minds) وتستطيع أن تري أني أسرفت في الواقع في إدماج أو تضمين مصطلح (عقل بصيغة الجمع) في عناوين هذه الكتب. **أما النشاط الثاني** فتركز علي إثراء تفاصيل نظرية الذكاءات المتعددة. ففي العام الدراسي 1994- 1995

أخذت منحة أو إجازة تفرغ علمي واستثمرت جزءاً من وقتي لمراجعة الأدلة والشواهد العلمية المؤيدة لوجود أنواع من الذكاءات الجديدة. وخلصت من هذه المراجعة إلي وجود شواهد وافرة لدعم ما يعرف بالذكاء الطبيعي ووجود شواهد علمية لصك ما يمكن تسميته بالذكاء الوجودي Existential Intelligence (الذكاء المتعلق بالأسئلة أو الاستفسارات الكبرى أو الغائية مثل *التساؤل عن الهوية والمصير والغاية من الوجود الإنساني دلالاته ومعناه*) إضافة إلي وجود شواهد موحية لما أعتقد أنه يمثل نقاط التماس والتداخل بين الذكاءات المختلفة وهو ما فسرته بمصطلح الإمكانات البيولوجية النفسية وعلاقتها بمختلف المجالات والضوابط الموجودة في مختلف الثقافات فما نعرفه إضافة إلي الطريقة التي ندرك ونقيم بها العالم من حولنا ربما يكون في جزءٍ منه انعكاس للذكاءات الإنسانية.

وخلال هذه الفترة أيضاً توصلت إلي تقديم مصطلح (الذكاء) بوصف أن له ثلاث استخدامات متميزة:

- خاصية توجد لدي كل البشر (فكلنا له نصيب من الثماني أو التسع ذكاءات) المشار إليها.
- بُعد يختلف فيه الناس(لا يوجد شخصين ــ حتى التوائم المتطابقة ــ يمتلكان بالضبط نفس بروفيل الذكاءات).
- الطريقة التي ينفذ بها المرء المهام تعتمد علي أهدافه الشخصية (فجو مثلاً ربما يكون لديه ذكاء موسيقي ولكن هذا التفسير لهذه القطعة ليس له إلا القليل من المعني بالنسبة لنا)

بينما يتمثل الملمح **الرئيسي للنشاط الثالث** في الترقب النشط والاهتمام البالغ باستخدامات وتفسيرات نظرية الذكاءات المتعددة. فخلال العقد التالي لبلورة نظرية الذكاءات المتعددة كنت قانعاً ببساطة بمراقبة ومتابعة ما يفعله وما يقوله الآخرون عن نظرية الذكاءات المتعددة. ولكني بعد ذلك لاحظت عدداً من التفسيرات الخاطئة لهذه النظرية علي سبيل المثال الخلط بين الذكاءات المتعددة وأساليب التعلم Learning Styles والخلط أيضاً بين الذكاء الإنساني بصفة عامة والمجال المجتمعي (مثل المساواة بين الذكاء الموسيقي مثلاً والتمكن من فن أو دور موسيقي معين) وقد لاحظت أيضاً أنه يوجد ممارسات يبدو أنها ذات طابع معارض أو ناقد بل ذات طابع هجومي يخرج عن نطاق مضامين ودلالات نظرية الذكاءات المتعددة كما أتصورها علي سبيل المثال وصف مختلف الجماعات العرقية والإثنية بناء علي خصائصهم في الذكاءات. وأيضاً لأول مرة حقيقة بدأت تمييز نظرية الذكاءات المتعددة كما صيغتها عن التصورات الخاطئة التي ألصقها عدداً من الباحثين بها ثم وثقت علاقاتي العلمية مع نفر من التربويين الذين درسوا هذه النظرية وحاولا توظيفها أو استخدامها والاستفادة منها في المواقف التعليمية. والملمح الأساسي لهذه الفترة الثانية أو المرحلة الثانية استلزم التعاون النشط والاندماج الإيجابي في مسار الإصلاح التعليمي وأخذ هذا الاندماج الصيغة العملية والنظرية في نفس

الوقت. فعلي المستوي العملي بدأت مع زملائي في مشروع الصفر المشار إليه سابقاً بالعمل مع المدارس التي حاولت تطبيق ممارسات الذكاءات المتعددة إضافة إلي صياغتنا لبعض البرامج التعليمية المفيدة في هذا الصدد مثل برنامج (التعليم من أجل الفهم) وقد أنشأنا أيضاً مدرسة صيفية تعمل منذ سبع سنوات. أما علي المستوي النظري الأكاديمي بدأت في تكوين أو نحت فلسفتي التعليمية الخاصة خاصة أني ركزت علي أهمية سنوات الدراسة قبل الجامعية ودورها في تحقيق تفهم المتعلم للمجالات التعليمية الأساسية مثل العلوم؛ الرياضيات؛ التاريخ؛ والفنون. ولأسباب كثيرة يعد التوصل إلي مثل هذا التفهم تحدياً صعباً نسبياً. وقد يمكن أن يتحسن فهم معظمنا لمثل هذه المجالات إذا ركزنا بعمق علي عدد قليل من الموضوعات. ومن هنا أصبح لدينا قناعة بإمكانية توفير نظرية الذكاءات المتعددة أرضية صلبة لتحقيق مثل هذا الفهم. ونستطيع عملياً أن نقترب من بعض الموضوعات التعليمية المفيدة بعدة طرق منها: يمكن أن نستفيد من التشابه أو المقارنات المتضمنة في مدى واسع من المجالات؛ يمكن أن نعبر عن الأفكار الرئيسية أو المفاهيم في عدد مختلف من الصيغ الرمزية. وقادنا مثل هذا التحليل في واقع الأمر إلي استنتاج مدهش مفاده أن (الذكاءات المتعددة) لا يجب أن تكون بالضرورة أو بذاتها هدفاً تعليمياً. فالأهداف التعليمية تحتاج إلي أن تعكس قيم المرء الذاتية وهذا لا يتأتى مطلقاً أو مباشرة من النظرية العلمية. وعندما يتأمل المرء في قيمه التعليمية الشخصية وفي الأهداف التعليمية للولايات يمكن أن نقول أن افتراض وجود وأهمية نظرية الذكاءات المتعددة يمكن إثباتها بسهولة ويمكن أن تكون نظرية مفيدة جداً في هذا السياق. خاصة إذا غطت أهداف المرء التعليمية مجالات الفهم الأساسية إذ هنا يصبح من الممكن تعبئة وتحريك الذكاءات المختلفة للمساعدة في تحقيق هذا الهدف الرفيع أو السامي.

هذه رؤيتي إذن للسنوات العشرين التي تمثل عمر نظرية الذكاءات المتعددة. وفي الواقع يغمرني امتنان تعجز مقدرتي اللغوية عن التعبير عنه للكثير من الأفراد الذين أولو النظرية الاهتمام ــ سواء من أعضاء فريق البحث الذين صاحبتهم خلال هذه الرحلة أو غيرهم من الأشخاص من داخل أو خارج الولايات المتحدة الأمريكية ــ إذ حفزني هؤلاء وغيرهم علي أن أكون متفاعلاً ومستجيباً لاستفساراتهم إضافة إلي أني عدلت كثيراً من أفكاري وبنيت نظريتي بصورتها الحالية علي كثيرٍ مما تعلمته منهم. وتجدر الإشارة إلي أنه عند إطلاق المرء لفكرة ما أو تصوراً ما في العالم قد لا يتمكن من التحكم فيما قد تثيره من تأثيرات أو ردود أفعال أو بلغة أخري قد لا يستطيع السيطرة بصورة كاملة علي مسار سلوك وتأثير هذه الفكرة أو ذاك التصور فيما بعد مثلما لا يستطيع المرء التحكم في منتجاته الجينية التي نسميها أطفال. ولحسن الحظ أصبح لنظرية الذكاءات المتعددة حياتها الخاصة أعلي وفوق ما كنت أتمني لذا أفرح كثيراً عندما أطلق عليها ذريتي العقلية أو المعرفية . فعمر نظرية

الذكاءات المتعددة الآن عشرون سنة وعمري أنا الآن ستون سنة ولا أعرف كم من الوقت تبقي لي في عمري لأواصل العمل العلمي الجاد لتهذيب وتنقيح هذه النظرية ولا أستطيع أن أدعي أيضاً أن نظرية الذكاءات المتعددة مازلت تشغل غالبية اهتمامي . ولكن تتيح الوقفة الحالية لي أن أسترجع وأقترح بعض الموجهات العامة لمزيد من التحليل والممارسة في المستقبل. ومن هذه المقترحات:

(أ) يجب أن يكون هناك جهوداً بحثية لاقتراح ذكاءات جديدة. ففي السنوات الحديثة بالإضافة إلي الاهتمام المكثف بما يعرف بالذكاء الانفعالي توجد جهوداً جادة لوصف ما يطلق عليه الذكاء الروحي أو الأخلاقي والذكاء الجنسي. وقد اقترح زميلي أنتونيو باترو ما يري أنه يستحق أن يسمي الذكاء الرقمي وأشار إلي كيف أن هذا النوع من الذكاء يحقق محكات توصيف الذكاء التي وضعتها في فترة سابقة. وفي هذا المؤتمر يري مايكل بوزنر متحديا إياي أن (الانتباه) يمكن اعتباره أحد أنواع الذكاء. وغالباً عند احتدام الجدال النظري حول هذه النقطة ما أضطر إلي أن أقول أن قرار تحديد الخاصية التي تستحق أن يطلق عليها ذكاء هو حكم عام وليس استنتاجاً منطقياً أو حسابياً. لذلك أنا متشبث بأنواع الذكاءات الثماني التي وصفتها في مؤلفاتي ولكني مستعد لأن أتنبأ بالوقت الذي تزداد فيه هذه القائمة لتشمل ذكاءات أخرى أو الوقت الذي يحين فيه إعادة تعيين نقاط التماس والتقاطع والحدود بين هذه الذكاءات. علي سبيل المثال عندما يصل تأثير موتسارت إلي درجة المصداقية ربما أرغب في إعادة التفكير في العلاقة بين الذكاء الموسيقي والذكاء المكاني.

(ب) مازلنا في حاجة ماسة إلي مزيد من الدراسات والبحوث التي تتصدى للإجابة علي سؤال: كيف يمكن توظيف الذكاءات بصورة أفضل لتحقيق أهدافاً تعليمية خاصة. ولا أعتقد أن البرامج التعليمية المدرجة تحت مظلة نظرية الذكاءات المتعددة تعير اهتماماً يذكر بأنواع الدراسات العشوائية المنضبطة التي تدعوا إليها الحكومة الفيدرالية في التعليم. ولكني أعتقد أن التصميمات التجريبية المنضبطة يمكن أن تكشف عن أنواع المجهودات التعليمية المناسبة أو غير المناسبة التي تعكس منظور الذكاءات المتعددة. ولكي أوضح مثالاً واحداً علي ذلك أتصور أن مداخل الذكاءات المتعددة مفيدة جداً عندما يحاول التلميذ التمكن من مفهوماً صعباً جديداً مثل الجاذبية في الفيزياء أو ما يعرف بروح العصر في التاريخ. وأنا أقل اقتناعاً بأهمية أو فائدة هذه النظرية في التمكن أو تعلم اللغات الأجنبية ــ علي الرغم من إعجابي بمعلمي اللغات الأجنبية الذين يدعون نجاحهم في استخدام مداخل الذكاءات المتعددة.

(ج) إذا أتيح لي الوقت والطاقة الكافية لاستكشاف نتائج أو عواقب نظرية الذكاءات المتعددة سأكرس جهدي خلال هذا الوقت لدراسة ذوي المواهب الفذة في نوعين أو أكثر من أنواع الذكاءات الثماني التي وصفتها. وما قد يحتل أولويات اهتمامي قبل كل شئ كما أشرت مسبقاً أصبحت مولعاً ومهتماً بالطرق التي تؤثر بها أنشطة المجتمع ومجالات المعرفة الموجودة في المنظومة العقلية للفرد وهذا الأمر يحتاج

إلي مزيد من الدراسة والبحث. فأي مجتمع معقد يوجد به علي الأقل من 100 إلي 200 مهنة منفصلة بصورة متميزة كما أن أي جامعة بغض النظر عن حجمها تقدم لطلابها علي الأقل 50 مجالاً دراسياً مستقلاً. وبالتأكيد فإن هذه المجالات وفروع الدراسة ليست موضوعة بشكل عشوائي كما أن الطرق التي تطورها وتدمج بها هذه المجالات والفروع أحداثها أو مكوناتها ليست عشوائية.

(د) ولا شك أن السياق الثقافي الذي تتخلق فيه المعرفة يؤثر بصورة ما علي نمط العلاقة بين أنواع العقول التي توجد لدي الكائن البشري كما أن هذا السياق الثقافي يؤثر بصورة كبيرة علي الطريقة التي تنمو وتتطور بها هذه العقول. وواقعياً كيف يرتبط مثلاً الذكاء المنطقي الرياضي للإنسان بمختلف العلوم الأخرى وبنظم وبرامج الحاسب التي ظهرت في السنوات القليلة الماضية وبتلك المجالات التي قد تظهر بعد مائة سنة من الآن؟ وكيف سيتعامل العقل البشري مع الدراسات المتداخلة التخصصات وهل هي أنشطة معرفية طبيعية أو غير طبيعية؟ وكل ما يسيطر علي الآن أني أحب أن أكون قادراً علي التفكير في هذه الموضوعات بصورة منسقة.

(هـ) وضح من البداية أن من الجوانب المهمة لنظرية الذكاءات المتعددة اعتمادها علي شواهد بيولوجية. وفي العقد الثامن من القرن العشرين لم يكن متوافراً إلا القليل من الشواهد المؤيدة لها من علوم الوراثة وعلم النفس التطوري ويوجد في الوقت الحالي شواهد قوية من مجال علم النفس العصبي تدعم وتؤكد وجود القدرات العقلية المختلفة وهذه الأدلة تعطي نظرية الذكاءات المتعددة الأعمدة الصلبة التي تستند وتقف عليها وأتوقع أن تتراكم المعلومات خلال العشرين سنة التالية بصورة محسوسة في كل من علم المخ وعلوم الوراثة. وخوفاً من خطر أن أبدو مغامراً أهلت نفسي للدفاع عن القضايا التي تعلمتها في الفترة من 1983- إلي 2003 . وكعالم وراثة وأعصاب غير متخصص حاولت قدر المستطاع متابعة المستجدات الهائلة لنتائج البحوث والدراسات العلمية في هذه المجالات. وأستطيع أن أقول بثقة أني لم أعثر علي نتيجة واحدة واضحة تدحض بصورة مباشرة القضية الأساسية للافتراضات الرئيسة لنظرية الذكاءات المتعددة. ولكني أستطيع أن أقول بثقة مماثلة أنه في ضوء هذه النتائج التي ظهرت في هذه المجالات خلال العقدين الأخيرين تحتاج الأسس البيولوجية لنظرية الذكاءات المتعددة إلي المراجعة والتطوير لتتسق مع هذه النتائج. وبينما أرغب في أن أنجز هذه المهمة بنفسي إلا أني لست واثقاً من قدرتي علي إنجازها. ولكني أود أن ألقي بتأملاتي الذاتية في هذا الصدد. عندما قدمت نظرية الذكاءات المتعددة كان من الضروري أن يؤكد علي أن أدمغة البشر والعقول الإنسانية وحدات شديدة التمايز. وبالتالي كان من المؤكد أن التفكير في عقل واحد؛ ذكاء واحد؛ قدرة واحدة لحل المشكلة أمراً مضللاً. وعليه حاولت مع كثيرين آخرين أن أقترح أن المخ/العقل يتكون من كثيرً من المناطق/الأعضاء/الذكاءات يعمل كل منها وفقاً لقوانينه الخاصة في استقلال نسبي عن بقية

الذكاءات. ومن دواعي سعادتي هذه الأيام أن يتأكد هذا الاقتراح ويصبح واقعاً ملموساً. لدرجة أن المناصرين لفكرة الذكاء العام و أو فكرة المرونة العصبية يستشعرون حاجة ماسة إلي الدفاع عن موقفهم بطريقة لم تكن ضرورية في العقود السابقة. ولكن حان الوقت لتختبر نوعية وطبيعة العلاقة بين الذكاء العام والذكاءات الخاصة إلا أن مثل هذا الاختبار أو المراجعة قد تحدث وهي تحدث بالفعل بطرق خادعة أو مضللة. إذ يقترح عالم النفس روبي كيس فكرة البني الإدراكية المركزية بوصفها أوسع دلالة ومعني من الذكاءات النوعية ولكن هذه الفكرة لا تغطي النشاط العقلي العام المتضمن في الذكاء التقليدي ولا تغطى حتى التصورات الخاصة للذكاء العام مثل تصور بياجه. في حين يعارض الفيلسوف جيري فودر التصورات المعيارية التقليدية للذكاء والنشاط العقلي بصفة عامة التي يظن أنها غير قابلة للاختراق بطرحه لما يعرف بالنظام المركزي أو الرئيسي للنشاط العقلي لكنه لم يعطي أية تفاصيل عن طبيعة هذا النشاط أو محتواه أو العمليات المتضمنة فيه. بينما يقترح فريق بحثي مكون من مارك هوسير وناعوم تشومسكي و تيسومسه فيتش أن الخاصية الفردية للمعرفة أو الإدراك أو الدراية الإنسانية تتمثل في القدرة علي التفكير المتعدد المتشابك وربما يكون ذلك التشابك متمثلاً بصورة أعلي في التفكير المتقدم في اللغة والأرقام والموسيقي والعلاقات الاجتماعية وغير ذلك من المجالات.

(و) تشير نتائج الدراسات والبحوث في مجال الفسيولوجيا الكهربائية ومجال علوم التصوير بالأشعة أنه يمكن تنشيط مختلف مناطق المخ لدي حديثي الولادة. إذ تكشف نتائج دراسات التصوير العصبي للأفراد أثناء قيامهم بحل المشكلات المبنية علي أسلوب معامل الذكاء التقليدي عن أن مناطق معينة في المخ تنشط بصورة أكبر أثناء التعامل مع مثل هذه النوعية من المشكلات، كما قد يكتشف في المستقبل القريب عن وجود جينات تسهم في الارتفاع غير العادي لمعاملات الذكاء لدي بعض الأفراد مثلما يوجد بالفعل جينات تؤدي إلي الإعاقة أو التخلف العقلي. كما تكشف نتائج دراسات الحالة الخاصة بي والتي تتناول عينات من الأشخاص فائقي الإنجاز أو الأداء عن وجود تمايز بينهم (مثل الموسيقيين والرياضيين) الذين تتعين أو تتحيز قدراتهم المذهلة في مجال واحد ومحدد للتميز مقارنة بغيرهم من العامة (مثل السياسيين ورجال الأعمال) الذين يظهرون بروفيلاً للقوي المعرفية عريضاً أو مسطحاً نسبياً بمعني أن تميزهم في القدرات المعرفية ليس متعيناً بمجال تميز معين.

(ز) وإذا قدر لي حياة أخري أو حياتين بالتأكيد سأرغب في إعادة التفكير في طبيعة الذكاء الإنساني في ضوء المعرفة البيولوجية المتوافرة هذه الأيام وتلك المعرفة التي ستكشف عنها البحوث المستقبلية في هذا الصدد وفي ضوء فهمي المحدد للحقول المعرفية المختلفة وللممارسة المجتمعية أو الفائدة بالنسبة للمجتمع وأمني نفسي هنا بمنحة تعليمية أخري تعطيني إياها مؤسسة فان لبير لمشروع الإمكانات البشرية ربما!!!! إلا أني لا أتوقع أن تتحقق هذه الأمنية. لكني علي أية حال في منتهى

السعادة لحصولي علي فرصة لفتح موجة دراسات جديدة في مجال النشاط العقلي والقدرات الإنسانية منذ عشرين سنة مضت إضافة إلي أن القدر أمهلني وقتاً كافياً لمراجعة وتعديل وتهذيب أطروحتي النظرية وأن أضع هذه الإشكالية البحثية الجاذبة لاهتمام كثيراً من المتخصصين للإسهام بجهدهم البحثي في هذا الصدد.

انتهيت الترجمة

= ثانياً تأملات من واقع النص:-

لا شك أن طرح رؤى نظرية جديدة في مجال العلوم بصفة عامة وعلوم العلاقات الإنسانية بصفة خاصة أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لحركة تقدم الحياة الإنسانية بوصفها دائماً اندفاعاً إلي الأمام ولكن هناك فرقُ شاسع بين الاندفاع إلي طرح روى نظرية مبتسرة غير قائمة علي أدلة وشواهد علمية ناتجة عن الدراسة العلمية المنضبطة والاندفاع الذي تسير وقع خطواته جهوداً بحثية مضنية تنضبط بقواعد وآليات العمل العلمي الجاد ولكن يأتي قبل ذلك ومعه وبعده وجود هدف ذاتي أصيل لدي من يحاول الاقتراب من هذه المنطقة شديدة الحساسية قد يكون هذا الهدف ناتجاً عن مجرد عدم الارتياح الشخصي للتفسيرات المطروحة لقضية أو مشكلة أو واقعة أو حدث أو ناتجاً عن تعذر تفهم وتفسير قضايا أو أحداث أو مشاكل حالية بالاستناد إلي النماذج النظرية المطروحة يتلوه وضع مخطط محكم لمتطلبات وإجراءات إزالة عدم الارتياح الشخصي هذا إضافة إلي نظم محاولات جادة لتفسير الغموض المرتبط بالقضايا أو المشكلات الحالية .يبدأ هذا المخطط علي خلفية أكاديمية شديدة التخصص والعمق تمكن الباحث من القراءة العلمية الأمينة لعطاء الآخرين ولرؤاهم وتفسيراتهم النظرية للقضية البحثية موضع الاهتمام فلكي يري الإنسان بعيداً عليه أن يقف إن جاز التعبير علي أكتاف الآخرين ولكي يحسن الإنسان القفز عليه أن يتراجع خطوات أكيدة إلي الوراء وباجتياز الباحث لهذه المرحلة يثير علامات استفهام محددة ويطرح أسئلة لم يتمكن من الحصول علي إجابات مرضية عنها من المراجعة السابقة ومن هنا تبدأ رحلة مضنية للتنقيب عن التفسيرات المحتملة الممكنة التي قد يسيرها حدس أولي أو تخمين ذكي يسعى الباحث للتحقق منه ولما كان طموح الباحث الراغب في التوصل إلي تعميمات تتخطى حدود وقائع ضيقة أو محددة أعلي من مجرد حل المشكلة أو القضية البحثية الراهنة فإنه مضطر إذن إلي تكريس كامل جهده وطاقاته العلمية في هذه المهمة التي قد يتعذر تحقيقها دون التعاون الجدي النشط مع العلماء المتخصصين الذين لديهم اهتمام ما بهذه القضية أو بقضايا قريبة منها خاصة الذين قد تسهم جهودهم البحثية اعتماداً علي خلفيتهم النظرية في إنارة الطريق أمام تلمس إجابات مرضية للأسئلة غير المجاب عنها إضافة إلي ما يتطلبه هذا الجهد من وقت طويل وتمويل وتوفير مختلف الإمكانيات أو بالجملة التواجد في سياق حاضن وداعم للبحث العلمي ثم لا تنتهي المسيرة بالتوصل إلي إجابات مرضية للأسئلة الحرجة بل يعقب التوصل إلي مثل هذه الإجابات التحقق منها وإعادة التحقق وتوسيع إطار عملها وطرحها بعد ذلك في الحقل الأكاديمي المعني وتلمس ردود الأفعال التي تنتج عنها والاستجابة المنضبطة لردود الأفعال هذه إما بالتوضيح أو التعديل أو حتى الاستغناء عن بعض من هذه الإجابات ولن تتأتى هذه الاستجابة دون بحوث ودراسات علمية محققة تفضي إلي شواهد علمية تساند أو تدعم هذه الاستجابة ولا يتوقف الأمر بالباحث عند هذه الحد بل يظل هاجس

المراجعة والتعديل يلح عليه كلما اقتضت الضرورة نتيجة اكتشافات علمية جديدة في الحقول المعرفية ذات الصلة ومن هنا يبقي واضع الأطروحة النظرية علي علاقة بها طوال عمره بل قد تقتصر أو تنحصر حدود الاهتمامات البحثية له في إطار هذه الأطروحة مقتنعاً بأنها لم تصل بعد إلي كامل صياغتها ومؤمناً بأنها تظل مفتوحة علي الدوام للقابلية للدحض أو التفنيد مما يجعله مستنفراً علي الدوام لكل ما يمكن أن يرتبط بطرحه النظري من استفسارات أو شكوك ومن هنا يصح تسمية مثل هذه الأطروحة النظرية بأنها أطروحة قابلة للحياة مندفعة دوماً إلي الأمام مفتوحة النهاية إن جاز القول وهذا ما عبر عنه هوارد جاردنر في نهاية ورقته إذ تمني لو يتاح له حياة أو حياتين إضافيتين لاستكمال مشروعه البحثي في ضوء مجموعة من الإشكاليات التي يمكن تفسيرها استنادا إلي أطروحته النظرية شديدة التميز والخصوصية.

ولا أدعي لنفسي حاش لله القدرة علي سرد مراحل صياغة الأطروحة أو النظرية أو النموذج التصوري علي نحو ما قد يفهم من التعليق السابق ولكن ما أدعيه دون خجل ودون خوف أني حزين بل محبط من واقع سياق البحث العلمي في مجتمعي وزاد قراءتي لمقال هوارد جاردنر من إحباطي هذا إذ تلمست من حديثه المهذب المتواضع كم نحن بعيدين عن المناخ العلمي الحاضن والداعم للعقلية العلمية المبدعة؟ وكم نحن متوقفون عند مستوي ما يصح تسميته ثقافة استهلاك عطاء الآخر حتى دون تحليل أو تقييم؟ . وعلي الرغم من ذلك يوجد نفر من الأدعياء لا يتوقفون عن نقد ذلك الآخر لأسباب أري أن لا علاقة لها بضوابط النهج العلمي. وقد يري البعض وأنا معهم في واقع الأمر أن هذه النبرة شديدة التشاؤم مبالغ فيها وهذا صحيح إذ يتوفر للدراسات والبحوث النفسية العلمية الجادة في مجتمعنا أساتذة بل علماء مرموقون آمل فيهم بعث نهضة علمية تتجاوز ثقافة الاستهلاك والترديد إلي ثقافة الإنتاج الإبداعي الذي يؤصل ويحفظ هوية وخصوصية مجتمعنا.

هذا وبالله التوفيق ومنه وحده جل شأنه العون والسداد.